اسمي يوسف

﴿ ثم ماذا ؟ ﴾

خطر ليوسف الثاني امبراطور النمسا أن يزور شقيقته ماري انتوانت ملكة فرنسا فغادر عاصمته فينا في جوقة كبيرة من الأعوان والخشم حتى اذا أوشك أن يصل الى حدود فرنسا صرف المعية على أن توافيه الى باريس واتخذ له سبيلا آخر ولم يستصحب الا الكونت روزنبرج فتنكرا وسافرا كأنهما من عامة السائحين حتى اشرفا على جسر عند الحدود . فقال الامبراطور :

— أرجو أن تصح احلامي وان يبسم لي المستقبل . أما الان فانني امبراطور مقيد بارادة سواي [1] وانما أذهب الى فرنسا الان باسم الكونت فالكنستين . هيا بنا نجتاز الكبري الذي يصل بين فرنسا والمانيا وفي الوقت نفسه يفصل بينهما [2]

ووصلا الى الفندق الصغير في بلدة (فيتري) الصغيرة وهي أول بلدة فرنساوية بلغاها بعد أن تجاوزا الحدود . وكان مدير الفندق في الوقت نفسه مدير بوستة تلك الناحية وكانت خادمات الفندق في أبهى ملابسهن وهن في شغل شاغل يحولن صالة الفندق الى مائدة كبيرة ازدانت جدرانها بالأزهار والتحف وتحولت ناحية منها الى مقصف ترتبت عليه الحلويات والصحون. وكان مدير الفندق وناظر البوستة يراقب هذه الترتيبات والزينات والطهاة يهيئون الطعام وقد مدت الموائد لثلاثين مدعواً وقد أعدت قناني الخمر للمدعوين . وكان المسيو (اتيان) يراقب هذه الترتيبات باسم الثغر هنيء البال حتى اذا رأى كل شيء حسن في قاعة الطعام انتقل الى المقصورة المجاورة وفيها امرأة استلقت على ديوان عند النافذة وهي حسناء ولكنها صفراء اللون وملابسها جميلة وبجانبها سرير فيه طفل حديث الولادة . وهي زوجة المسيو اتيان صاحب الفندق وكل هذه الاستعدادات لأجل تنصير الغلام. فقال الرجل

---

(١) اشارة الى انه مقيد بارادة والدته الامبراطورة ماريا تريزا .

(٢) كلمات الامبراطور بعينها . راجع « تحارير يوسف الثاني » صحيفة ١٧٥ .

— ارجوك أيتها العزيزة اثناسيا أن تقاومي ضعفك وان تلبثي مع ضيوفنا اليوم فقد مضت ٣ أسابيع على الولادة

— سأبذل جهدي يا عزيزي :

— ان حفلة التنصير اليوم ذات شأن وأهمية وهي عيد كبير بشرط أن لا يأتينا أحد من السائحين ولو جاءوا لما عرفت أين أجد محلا لنزولهم فان أفضل من يأتي فندقنا ليس أهلا للاجتماع بضيوفنا الكرام فضلا عن انني محتاج الى جميع عرباتنا وخيولنا لنقل المدعوين . ولكن ما هذا . انني اسمع صوت عربة ونفير السائق . أنها عربة المحطة وفيها قوم غرباء

وأسرع الى الباب الخارجي فرأى عربة المحطة ومن ورائها عربة أحد ضيوفه فساءه أن السياح حضروا وقت حضور المدعوين فمشى الى المدعوين يحسن استقبالهم وأهمل غيرهم وكان أهم ضيوفه كاهن القرية والمأمور ثم عاد وتذكر واجباته ورجع الى السائحين فرأى رجلا عليه هيئة الأعوان بجانب السائق واذا برجلين في العربة ففتح بابها وقال

— إتريدون يا سادتي الذهاب الى المحطه الثانية

— لا . وإنما رأينا فندقك حسناً فنريد غرفة وطعاماً

— ارجوكم ان تواصلوا سيركم الى البلدة المجاورة

— ولماذا ونحن نرى القوم يدخلون فندقك أفواجاً . فكيف ذلك

— سيدي ان هذا اليوم .... سيدي لا تؤاخذني هل انت اب

فقال السائح بحزن — لقد كنت أباً [1] ولكن ما معنى هذا السؤال

— اذاً أنت تشعر معي متى أخبرتك . اننا اليوم نحتفل بتنصير ولدنا الاول

— وهؤلاء الناس ؟

— هم الذين دعوناهم للحفلة ولذلك تلتمسون لي عذراً

— إذاً أنت تطردنا ؟ لا . أنني وصديقي لا نستطيع القبول لأننا نفضل

(١) كان ليوسف الثاني امبراطور النمسا ابنة من زوجته الاولى فماتت وحزن عليها كثيراً

الاقامة مع ضيوفك فاسمح لنا ان نحضر وليمتك وأن نشترك في حفلة التنصير فانها حفلة تستوجب الفرح ونريد أن نشترك معك في فرحك

— على الرحب والسعة أنكم ضيوف ولدي الصغير

فدخلا واختلطا بالمدعوين . فقال المسيو اتيان :

— اسمحالي أن اقدمكما الى زوجتي مدام اتيان فانها تسر باستقبال وجهاء نظيركما

ولما رأتهما مدام اتيان أدركت للحال انهما من الاعيان فأحسنت استقبالهما وعهدت الى زوجها أن يجلس الكاهن بجانبه وأجلست أحد الضيفين عن يمينها على المائدة والآخر عن يسارها وأخذت تحدثهما عما وقع لها في مرقص المحافظ في العام الماضي أما أحد السائحين فانه تحول الى محادثة جيرانه وسأل الكاهن والأمور عن أحوال الأهالي

فلما انتهى الطعام بدىء بتنصير الغلام وذلك في فسحة مهيأة لذلك فتقدم أحد السائحين ذراعه لمدام اتيان . وقال .

— أتسمحين لي يا سيدتي أن اكون عرابا لطفلك ؟

فأجابته الى ما طلب مسرورة وقالت في نفسها « ستعرف اسمه » وبدأت حفلة التنصير الكنسية وبعد أن أتم الكاهن تنصير الغلام تحول الى العراب. وقال:

— ما اسم حضرة العراب

فتحولت أبصار الجميع اليه وهم ينتظرون أن يسمعوا لقب كونت. فقال الرجل:

— اسمي يوسف

— يوسف ماذا ؟

— كنت أظن ان اسمي الاول يكفي

— لا يا سيدي بل يجب تدوين الاسم كاملا في سجل الكنيسة

— اذاً فاسمي يوسف الثاني

— الثاني . . الثاني . . هل هذا هو لقب عائلتك

— نعم اسمي الآخر هو « الثاني »

— كما تشاء . يوسف الثاني . والآن ما هي مهنتك . لا تؤاخذني فانني ألقي عليك الاسئلة العادية القانونية

فتردد الرجل قليلا وكرر الكاهن سؤاله قائلا :

— ما هي مهنتك

فأجاب الرجل باسماً

— امبراطور النمسا

فصاح القوم صيحة الدهشة وسقط القلم من يد الكاهن واستلقت مدام اتيان على كرسيها وقد تغلب عليها الفرح وتناول المسيو اتيان غلامه من ذراعي الخادمة وأسرع الى الامبراطور فركع أمامه فاقتدى به الجميع وجثوا رجالا ونساء فقال المسيو اتيان بصوت تخنقه الدموع

— يا جلالة الأمبراطور أنك صيرت ولدي شهيراً وسيبقى الشرف الذي وهبته لنا الآن موضوع حديث الأهالي الى ما بعد مائة سنة . وأهالي (فيتري) لا ينسون تنازلكم الى الجلوس معهم كواحد منهم . مولاي : ان ولدي فرنساوي ولكنه سيكون نمساويا في قلبه مثل جلالة ملكتنا الحسناء فهي نمساوية وفرنساوية في وقت واحد . واسأل الله أن يحرسكما بعنايته فلتحيَ ملكتنا ماري أنتوانت . وليحيَ شقيقها الكريم امبراطور النمسا

فهتف الجميع بذلك الدعاء وانتبهت مدام اتيان فنهضت وسارت الى الامبراطور فأسرع جلالته اليها وأجلسها بلطف قائلا

— ليس بين الوالدة والعراب تكليف . ثم دفع اليها علبة سعوط مرصعة وقال

— أرجوك أن تقبلي هذه الهدية تذكاراً لزيارتي السارة وعليها صورتي ، وقد قيل لي ان جميع الحسان في فرنسا يتنشقن السعوط فأرجو أن تذكريني كلما استعملت هذه العلبة

ثم تحول الى المسيو اتيان وقال :

— والآن أرجوك أن تهيء لنا عربة تنقلنا الى المحطة الأخرى اهـ .